حاتم في الدار

وَأُقَبِّل اللَّيْل مُخِيفا

وَاللَّيْلُ الحَزِينُ لَهُ صَدًى وَحَفِيف

وَصَلَ الجُنْدِي مَعَهُ المَرِيضَ

وَكَانَ الظَّلَامُ يُغَلِّفُ المَكَانَ

وَكَأَنَّمَا الصُّبْح حَلَمَ بِعِيْد

طَرَقَ البَابَ وَوَقَفَ بِعِيْدا

وَفَتَحَ كَبِيرُ الغِلْمَانِ

قَالَ أين أَمْ الغِلْمَان .استفهم مَنْ أَنْتَ؟

قال الرسول .. أخبرها أَن المَرِيضَ حَاتِمُ وَصَلَ الآنَ

خَرَجَتْ أُمّ الغِلْمَانِ تَعْدُو بِقَلْبٍ مَلْهُوفٍ

أَبْصَرْت جَسَدًا بِالمَهَانَةِ وَالذُّلَّ مَلفُوف

اِقْبَلْ يَا زَوْجِي لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكَ بَعْدَ اليَوْمَ وَلَا خَوْفَ

قَالَ المرسال

يَنْتَظِرُكَ القَاضِي بَعْدَ يَوْمَيْنِ

وَذَلِكَ صَبَاحَا فِي الدِّيوَان

أَخْبَرَهُ بَيْنَنَّا مِيعَاد

والتفتت قائلة زَوْجَيْ وُجُودِكِ بَيْنَنَّا عِيد

نَظَرَ مِنْ خِلَالِهَا إلى الفضاء البعيد

دمدمت ..أَقْسِمُ أَنْ نُعَوِّدَ أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ

فَأَنْتَ قَلْبٌ يُفِيضُ حَنَانَ

أَغْلَقْتُ بَابَ الدَّارِ

وَالْتَفَتَتْ تَنْظُرُ وَعَقْلُهَا قَدْ حَارَ

آه يَا زَوْجِي غِيَابكَ يَوْمًا بِعَامٍ

وَقَدْ فَقَدْتُ الإِحْسَاسَ بِالأَيَّامِ

وَتَحَرَّكَ مَعَهُمْ كَأنهِ مِيتٌ بَيْنَ الأحْيَاءِ

أَجْلَسُوهُ وَلَمْ يَنْطِقْ

مَا هَذَا يَا أمِي إِنْ مَا يَحْدُثُ بِلَا مَنْطِقٍ

أَشَارَتْ إنَّ صَمْتًا

هَلُمُّوا لِنَتَّفِقَ عَمَّا يَكُون فِي الغَدِ

فَهُوَ الفَيْصَلُ وَنَبْدَأُ فِي العَدّ

لِكُلٍّ مِنَّا مُهِمَّةٌ تُنَفِّذُ بِجَدٍّ

وَنَتَحَرَّكُ بِتَفْكِيرٍ وَتَأنِي وَهِمَّةٌ
وإياكم أن يحيد منكم عن المهمة

سَتَبْدَأُ أَنْتِ وَأُخُوَّتكَ بِنَقْلٍ بَعْض الأَشْيَاءِ

وَتَعْمَلُوا بِجَدٍّ مِنْ الصَّبَاحِ لِلمَسَاءِ

أَمَّا أَنَا سَأَخْرُجُ فِي الخَفَاءِ

وَأَذْهَبُ إِلَى مَكَانِ القَوَافِلِ

وَلَكِنَّ بِدَوْرِ زَوْجَةِ حَاتِمَ

وَأَطْلُبُ أَنْ يَعِدَ بِعَيْرٍ

عَلَى عِجْلٍ وَبِلَا تَأْخِير

بِاسْمِ حَاتِمَ وَزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهَا الغِلْمَانِ

إِلَى قَافِلَةِ أَرْضِ نُعْمَانَ

آمِي كَيْفَ نَذْهَبُ فِي قَافِلَتَيْنِ

وَالإِثْنَتيْنِ فِي اِتِّجَاهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ

اِسْمَعُونِي وَتَأَنَّوْا

وَنَظَرْت بِطَرَفِ عَيْنِهَا

فَوَجَدْت الِانْتِبَاهَ عَلَى وَجْهِ زَوْجِهَا

فَتَبَسَّمْت فِي الخَفَاءِ

كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّكَ بَالَغَ الذَّكَاء

وَعَادَتْ تَقُولُ

وَسَأُخْبِرُهُ أَنَّنَا سَنُرَكِّبُ مِنْ وَاحَةِ النَّخِيلِ
وسأطلب منه أن يخفى خبرنا فأنا أكره القيل والقال

عِنْدَمَا أَعُودُ سَنَدْعُو حَسَّانَا وَزَوْجَتُهِ

وَسَنُخْبِرُهُمْ فِي عَرْضِ الحَدِيثِ قِصَّةَ رِحْلَتِنَا

سَنَجْلِسُ حَتَّى المَسَاءِ

وَنُوقِدُ الشُّمُوعَ. فِي كُلِّ جنبات الدَّار

حَتَّى يَرَاهَا كُلَّ مِنْ فِي الجِوَارِ

حَتَّى يَظُنُّوا أَنَّنَا بِعَوْدَةِ حَاتِمَ فَرَحَيْنِ

وَنُطْلِقُ البَخُورَ حَتَّى يَشْمهِ الغَادِينِ وَالرَّائِحَيْن

وَسَتَنْطَلِقُ كُلُّ القَوَافِلِ إِلَى جِهَاتِ الأَرْضِ الأَرْبَعَة

بَعْدُ انتصاف اللَّيْل. سَنَتَسَلَّلُ فِي هُدُوءٍ

وَنَتْرُكُ البَخُورَ وَالشُّمُوعَ

سَيَظُنُّونَ أَنَّنَا إِلَى شُرُوقِ الشَّمْسِ سَاهِرَيْنِ

بِعَوْدَةِ وَالِدِكُمْ فَرَحَيْنِ

لَكَ يَا أمِي وَمَا تَأْمُرِينَ

هَيَّا فَلِنَذْهَبْ لِنَنَامَ

فَلَا نَعْرِفُ مَاذَا سَتَصْنَعُ بِنَا الأَيَّامُ

كَأنمَا النَّوْمُ أَمْسي عَسِيرا

وَقَدْ شَغَّلْهُمْ وَأَتْعِبْهُمْ جَمِيعًا التَّفْكِير

أَمَّا حَاتِمُ تَظَاهُر أَنَّهُ نَائِمٌ عَلَى السرير
ولكنه كان ضائعا وفي نفسه إحساس بالظلم مرير
فاقد للإتجاهات عاجز عن التفكير